



الدراسة الثالثة

جماليات الفرض العلمي عند وليم هيوول

جماليات الفرض العلمي عند وليم هيوول

تمهيد

هناك رواد تتحسر عنهم أضواء الشهرة في تاريخ فلسفة العلم الحديث بسرعة لافتة للنظر، مع أن هذا التاريخ يؤكد عند استنطاقه أنهم أسهموا قدر استطاعتهم في الارتقاء بالمنهج العلمي، وعملوا قدر طاقتهم علي أن ينقلوا ما عرفوه إلي بني وطنهم، وعلي أن يبدعوا في أكثر من مجال مثل أقرانهم الأكثر شهرة الذين كان عليهم الإسهام في كل مجال من مجالات العلوم المختلفة، استجابة إلي تحديات التخلف في مجتمعهم ورغبة في الوقت نفسه في الارتقاء بهذا المجتمع .

ويعد " وليم هيوول " William Whewell (1794 - 1866) واحداً من هؤلاء الرواد الذين انحسرت عنهم أضواء الشهرة في تاريخ فلسفة العلم الحديث ؛ حيث أنه قلما يذكر اسمه في الكتابات التي تتناول تاريخ العلم وفلسفته، مع العلم بأن هذا الرجل كان واحداً من أهم وأشهر فلاسفة العلم في القرن التاسع عشر الذين اهتموا بنظرية البدء بالفرض، وهي نظرية منهجية قد فرضتها طبيعة العلم والابستمولوجيا العلمية بعد ذلك في القرن العشرين⁽¹⁾، كما كان أحد الذين اهتموا بمشكلة المعرفة أكثر من مشكلة الوجود، فتناول بالنقد كل العلوم القائمة، وناقشوا أسسها ومبادئها، وأعادوا النظر فيها من جديد من خلال المعايير التي حاول كل مذهب فلسفي من خلالها أن يميز بين العلم واللاعلم من خلال التحليل والضبط المنطقي في ضوء الحاجات الجديدة للعلم⁽²⁾ .

وكان أيضاً عالماً وعضواً في الجمعية الملكية للعلوم، وبفضله وضعت الجمعية مصطلح "عالم" - Scientist علي كل من يعمل بالعلم الطبيعي . درس علم المعادن، وله أعمال في الفلك والفيزياء العامة والميكانيكا، قيل عنها إنها أساسا كتابات تعليمية، ولكنه ساعد "فرادي" - faraday في وضع عدد من المصطلحات المهمة في مجال الصلة بين الكهرباء والتحليل الكيميائية⁽³⁾؛ مثل: القطب الموجب (Anode)، القطب السالب (Cathode)، والأيون (Ion)⁽⁴⁾.

وهو أيضاً مؤرخ للعلم في عصره الذي لم يهتم بتاريخ العلم إلا قليلاً وتركه للمحاولات الفردية . أصدر هيوول في العام 1837 " تاريخ العلوم الاستقرائية منذ البداية حتى العصر الراهن " :، History of The Inductive Sciences From The Earliest to The Present Time في ثلاثة مجلدات ، في هذا الكتاب يؤكد هيوول أن تقدم العلم واطراده مسيرته يعتمد في الأساس علي قدرة رجال الفكر وعباقرة العلم علي الإتيان بتصورات وخلق الفكر وعباقرة العلم علي الإتيان بتصورات جديدة وخلق أفكار واضحة ليعملوا بعد ذلك علي تطبيقها في شتي مناحي الحياة العلمية . وكان هيوول يري أنه لما كانت مسيرة العلم تجسد حلقات أو أزمنة يحيا فيها العلم وينتفش من بعد جمود ، فإن العلم يزدهر بطبيعة الحال خلال فترات أطلق عليها اسم "الفترات الاستقرائية" . أما فترات الجمود فإنها هي التي تفصل بين فترتين استقرائيتين علي امتداد الزمن . ولذا صارت ظاهرة ازدهار العلم فيهما يرتفع شأنه حيناً ، ثم ما يلبث أن يتراجع وتخبوا جذوته حيناً آخر وهكذا . ولم يتوانى هيوول عن طرح أمثله لتصوراته ، فراح يذكر أن أول فترة استقرائية هامة قد حدثت في عهد اليونان القدامى ، ثم أعقبها بعد ذلك فترة جمود تعرف بالعصور الوسطي . وعلي الرغم مما يبديه

التصور العادي من تأييد لوجهة نظر هذا الرجل، إلا أن المشكلة تظل قائمة دونما حل أكيد . إذ لم يذهب هيوول علي نحو مقنع تماما : لماذا يزدهر العلم في الفترة أو ينحسر أثره في تلك (5) .

ثم أصدر هيوول عام 1840 كتابا آخر بعنوان " فلسفة العلوم الاستقرائية المؤسسة علي تاريخها " Philosophy of The Inductive : Sciences Founded Upon Their History . وفي مواجهة النزعة الاستقرائية التجريبية المتطرفة اللاتاريخية ، يؤكد هذا الكتاب أن فلسفة العلم لا تدرك المنهج العلمي حق الإدراك إلا من خلال فاعليته عبر تاريخ العلم ، لذلك يتلاحم في عنوان الكتاب الطرفان : تاريخ العلوم الاستقرائية وفلسفة العلوم الاستقرائية ، وصدرت لهذا الكتاب طبعة ثالثة مزيدة وموسعة تحت ثلاثة عناوين مستقلة " الأول " تاريخ الأفكار العلمية " History of Scientific Ideas في مجلدين سنة 1858 ، والثاني في العام نفسه بعنوان " إحياء الأورجانون الجديد " Novum Organon Renovatum ، والثالث " في فلسفة الكشف " on The Philosophy of Discovery سنة 1860 .

لكل ما سبق قصدت إلي إنجاز بحث عن " جماليات الفرض العلمي عند وليم هيوول " ، أتوخي من خلالها التعرف علي مفهوم الفرض العلمي ووظائفه وأهميته ، وهل نجح هيوول في الوصول إلي المنهج الفرضي الاستبطائي أم لا ؟ . كل هذه الأمور سوف نكشف عنها من خلال إلقاء الضوء علي فلسفة هيوول وتحليل عناصرها الأساسية عبر تطورها ، ثم إعادة بنائها في ضوء المناقشات التي أحاطت بها ، والانتقادات التي تعرضت لها . وعلي هذا فإن هذا البحث يرمي إلي فهم

وتأويل فلسفة هيوول في الفرض العلمي، بالإضافة إلي تعديلها أحيانا أو الدفاع عنها أحيانا أخرى .

وقد اعتمدنا في هذه المهمة علي منهجين ، وهما : المنهج التاريخي والمنهج النقدي. وقد استخدمنا المنهج التاريخي بمعنيين : أولا بمعني الرجوع إلي الوقائع التاريخية التي يعتمد عليها هيوول، وثانيا بمعني تطور فكر هيوول عبر مراحل الزمنية . واستخدمنا كذلك المنهج النقدي بمعنيين : قصدنا بالمعني الأول فحص وتحليل النتائج التي انتهى هيوول علي أساس الأهداف التي حددها لفلسفته في الفرض العلمي، وقصدنا بالمعني الثاني محاولة تقييم أفكار هيوول في الفرض العلمي في ضوء الانتقادات الفلسفية التي تعرضت لها، وفي ضوء إمكان تطوير هذه الأفكار وحدود هذا التطوير .

وبهذا تتجسد محاور البحث علي النحو التالي :

أولاً : نقد وليم هيوول للنزعة الاستقرائية عند فرنسيس بيكون وجون ستيورات مل.

ثانيا : الفرض كمرحلة أولي.

ثالثا : طرق التحقق من الفرض العلمي.

رابعا : جون ستيورات مل يناظر هيوول.

أولاً : نقد وليم هيوول للنزعة الاستقرائية عند فرنسيس

بيكون وجون ستيورات مل

كان الاهتمام الرئيسي لأصحاب الاتجاه الاستقرائي ينصب حول الطريق المؤدي إلي الكشف عن القوانين، واعتقدوا أنه من الممكن

رسم منهج لتحقيق ذلك، فنجد أن كل من يكون وممل، قد حاولا تشييد منطق للكشف موازيا لمنطق البرهان، وقاما بصياغة المناهج التي من وجهة نظرهما، تمكن من اكتشاف قوانين الظواهر كنتيجة لتحليل وقائع الملاحظة والتجربة، كما وضع كل منهما منطق منهجيا علي غرار المنطق الأرسطي من أجل التوصيل إلي الحقائق الكونية، ومن ثم ادعت بأن قواعد الاستقراء تفسر العملية المنطقية للكشف عن القوانين⁽⁶⁾.

ولذلك نشأ تصور للاستقراء باعتباره وسائل منطقية لصياغة العمليات الخاصة بتكوين واكتشاف المعرفة العامة للارتباطات القائمة بين الظواهر علي أساس معرفة الوقائع الجزئية. وبصفة عامة رد الاستقراء إلي ما يسمى بالمنهج الاستقرائي للبحث والذي تمثل في الخطوات التالية: (7).

الخطوة الأولى: الملاحظة التجريبية. فلا بد أن العالم بملاحظة أمثلة عدة للظاهرة موضوع الدراسة، ملاحظة دقيقة مقصودة منتقاة وهادفة، مرتبة ومتواترة، تتصف بالنزاهة والموضوعية والدقة التي توجب استخدام الأجهزة العملية إلي أقصى حد ممكن للتكميم الدقيق. وما التجربة العملية إلا اصطناع الظروف المطلوب ملاحظتها.

الخطوة الثانية: هي التعميم الاستقرائي للوقائع التي لوحظت، فإذا اشتعل الخشب كلما تعرض للهب في سائر الوقائع التي لوحظت، أمكن الخروج بالتعميم الاستقرائي: الخشب قابل للاشتعال.

الخطوة الثالثة: هي افتراض فرض يعلل أو يفسر هذا التعميم، كافتراض أن الخشب قابل للاشتعال لأنه يتحد بالأكسجين.

الخطوة الرابعة: هي التحقق من صحة الفرض عن طريق اختباره تجريبيا . ويكون قبول الفرض أو تعديله ، أو رفضه والبحث عن فرض آخر إذا دحض كل هذا وفقا لنتائج محكمة التجريب، تنفيذ حكمها يعني الخطوة الأخيرة للمنهج، وهي بلوغ معرفة جديدة والإضافة إلي بنیان العلم .

وتجدر الإشارة أن " بيكون " أهمل الخطوة الثالثة (وضع الفروض)، بينما اعتبرها " مل " مرحلة أساسية . وبذلك يكون مل هو الممثل الحقيقي للمنهج الاستقرائي بخطواته الأربعة (وهي ملاحظة ثم تعميم، افتراض فرض، التحقق منه، البرهان أ، الدحض، وبالتالي المعرفة) .

أكد بيكون أنه لكي يتقدم العلم لابد من تناول الأشياء ذاتها بدلا من تناول المفاهيم . فلقد كان مهتما بالبحث في الحقائق الغفل التي لم يتوصل إليها العقل الإنساني بعد، وأوضح بيكون أن الاستقراء الجيد الذي يفيد في الكشف والبرهان في مجال الفنون والعلوم هو الذي ينبغي أن يفصل طبيعة الأشياء بالفرض أو الاستبعاد الدقيق، وما يعنيه بيكون بهذا المنهج يتمثل في أمرين :

الأول: إذا ظهرت حالة واحدة سالبة تخالف الملاحظات التي تم التوصل إليها فلا بد من رفض القانون الذي تأسس بناء علي الملاحظات الأولى ولأنه مهما كان عدد الأمثلة التي تؤيد القانون، فإن ظهور حالة سالبة واحدة كافية لرفضه تماما .

أما الأمر الثاني، فيتمثل في أن إثبات قانون ما يكون بإثبات أن كل القوانين والنظريات المعارضة له خاطئة . وقد عرض بيكون منهجه في مؤلفه المرسوم " الأورجانون الجديد " Novum Organum، وعنوانه

الفرعي " إرشادات في تفسير الطبيعة " Directions Concerning Interpretation of Nature ، سنة 1620 . وما زال يمثل هذا المؤلف لما يعتقد كثير من الناس أنه منهج العلم⁽⁸⁾ .

نبه ببيكون في هذا الكتاب علي ضرورة التخلي عن الآراء السابقة وضرورة البدء من الملاحظات . ولقد صاغ منهجه في جزأين : جزء سلبي بعنوان " تفسير الطبيعة وسيادة الإنسان " ⁽⁹⁾ . ويعتمد المنهج الإيجابي عند بيكون أن كل ما في العالم يمكن أن يرد إلي عدد محدود من الطبائع البسيطة التي تتألف الموجودات من اجتماعها وتفرقتها . وكان يري أن الموضوع الأساسي للبحث في العلم يجب أن يدور حول معرفة تلك الطبائع البسيطة واكتشاف قوانينها وأسبابها . ويرى بيكون أنه يمكن الكشف عن تلك الطبائع البسيطة بواسطة استخدام القوائم الثلاثة " ⁽¹⁰⁾ .

1 - قائمة الحضور وفيها يقوم بتسجيل الحالات الموجبة التي توجد فيها الظاهرة

2 - قائمة الغياب، وتسجل فيها الحالات التي تغيب فيها الظاهرة .

3 - قائمة درجة المقارنة، وفيها تقوم بتسجيل الحالات التي تحضر فيها الظاهرة، عن طريق الإشارة إلي تغيرها أو اختلافها مع درجة الحرارة .

ومن جهة أخرى، فلقد اعتقد مل هو الآخر أنه بالإمكان صياغة قواعد آلية الكشف العلمي، وعرف الاستقراء بأنه " عملية كشف وبرهنة القضايا العامة . فالعملية غير المباشرة لتأكيد الوقائع الفردية

هي عملية استقرائية مثلها مثل تلك العملية التي نصل بواسطتها إلي الحقائق " (11) .

واعتبر جون مل أن طرائقه هي طرائق اكتشاف وبرهان في نفس الوقت : " الطرائق الأربعة هي طرائق اكتشاف، ولكن حتى إذا لم تكن طرائق اكتشاف، فإنها الطرائق الوحيدة للبرهان " (12) ؛ وعلي الرغم من أن مل يتحدث عن أربع طرائق إلا أنه خمسة وهي : طريقة الاتفاق، طريقة الاختلاف، الطريقة المشتركة للاتفاق والاختلاف، طريقة البواقي، طريقة التلازم في التغيير . وبعد أن شرحها ظل مصمما علي أنها أربعة، واختلف الباحثون أي الطرق هي الزائدة وتمسك كل فريق بواحدة منها (13) . ولكن يمكن ملاحظة أن طريقتي البواقي والتلازم في التغيير يعتمدان علي الطرق الثلاثة الأولى، وأن الطريقة المشتركة للاتفاق والاختلاف مجرد ربط الطريقتين الأولى والثانية معا . وأن طريقة الاختلاف نفي لطريقة الاتفاق، فلا ينبغي إلا الطريقة الأولى وهي معروفة منذ أن دعي ببيكون إلي التجريب (14) .

وجملة القول أن الاستقرائية التقليدية اعتقدت أن الاستقراء هو عملية الكشف عن القوانين، كما أن كل عملية للتوصل إلي معارف عامة بخصوص قوانين العلم إن هي إلا عملية استقرائية .

كما افترض الاستقرائيون أن المنهج العلمي يبدأ بإبعاد كل التصورات والفروض المسبقة عن الطبيعة وكانت المقولة الرئيسية لهذا الاتجاه " لا تفكر " معناه find out ويبدو أن هذه المقولة ناتجة عن توجهات ببيكون بأن الأفكار المتصورة مسبقا قد تؤدي إلي الانحياز وعدم الموضوعية، ومن ثم فإنه من الضرورة أن تكون الأولية لجمع

الوقائع، ولكن في الحقيقة أن هذه البداية ستعرض البحث العلمي لأكبر مشكلة، وهي مشكلة تحديد الوقائع التي نبدأ منها .

كما أن اعتبار منطق الاستقراء هو منطق الكشف عن المعرفة العامة علي أساس معرفة الوقائع الجزئية أدي إلي خلق وهم مؤداه أن مناهج البحث الاستقرائي الخاصة بكل من بيكون ومل كافية لتفسير العملية المنطقية في اكتشاف القوانين العلمية، وأدي ذلك إلي اعتقاد مضلل بأن الإنسان يكون عبقريا إذا ما اتبع فقط قواعد الكشف المتمثلة في تلك المناهج⁽¹⁵⁾ .

أما عن موقف هيوول من الاتجاه الاستقرائي، فقد كان من أشد المعجبين بفرنسيس بيكون، خاصة أنه كان هيوول ينظر إليه بوصفه أحد المفكرين الذين دعوا إلي تطبيق العلم من أجل زيادة مقدره الإنسان المعنوية والمادية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بوصفه رائداً من رواد النهضة العلمية الحديثة بما لها من مميزات تخلف بها عن العصر القديم والعصر الوسيط اختلافاً أساسياً⁽¹⁶⁾ .

وكان هيوول قد عقد العزم علي أن يكون عنوان الجزء الثاني من كتابه فلسفة العلوم الاستقرائية هو إحياء الأرجانون الجديد وهو مؤلف من جزأين : جزء نظري بعنوان حول بناء العلم of the construction of science، وجزء تطبيقي بعنوان حول المناهج المستخدمة في تشكيل العلم of method in the formation of science. وأسلوب الكتاب شيق بليغ حيث يتضمن تشبيهات رائعة وشيقة . وقد ألف هيوول الكتاب علي صورة فقرات منفصلة أو جمل قصيرة لا يربط بينها أي منهج دون أن يدعوا أو يزعم أنها تشتمل علي

علم كامل، وهي نفس الطريقة التي كان قد كتب بها ليكون كتابه الأرجانون الجديد .

وإذا نظرنا إلي خطة إحياء كتاب الأرجانون الجديد نجد أن الكتاب ينقسم إلي فقرات موزعة علي بابين وبينها كما يأتي :

الباب الأول : في الفقرات من 1 : 3 يبحث هيوول موضوع بناء العلم، فيبين أن العمليان اللتان من خلالهما يبني العلم هما تفسير المفاهيم وربط الوقائع .

- من 4 : 10 يبين هيوول أن المفاهيم تمثل جزء ضروري لكل استقراء وبدون المفهوم ليس بإمكاننا معرفة الأسباب والوصول للمعرفة الموضوعية، لا يقلل من تدخل كل العوامل الذاتية .

- من 11 : 22 يتحدث هيوول عن ربط الوقائع، وأن هذا الربط يكون من خلال فرض .

- من 23 : 29 يوضح هيوول كيفية ربط منطق الاستقراء ومنطق الاستنباط علي أساس أن كل منهما يكمل الآخر .

- في الفقرة 24 يتحدث هيوول عن قوانين الظاهرة والعلل .

- من 25 : 26 يشرح هيوول موضوع العلاقة بين العلم والفن .

في الفقرة 27 يعرض هيوول لتصنيف العلوم .

الباب الثاني : إذا كان الباب الأول من إحياء الأرجانون الجديد يمثل الجانب النظري للمنهج العلمي في معظم أجزاءه، فإن الباب الثاني تطبيقي، يطبق فيه هيوول نظرياته الجديدة في العلم والمناهج الثلاث المشهورة التي تشكل البحث العلمي لديه وهي مناهج الملاحظة ومناهج إحراز الأفكار الواضحة ومناهج الاستقراء .

وفي مناهج الاستقراء يقدم هيوول رؤية جديدة تختلف عما ذهب إليه كل من بيكون ومل، وهذه الرؤية تقوم علي التحليل المادي للوقائع وقياس الظاهرة، وتفسير التصورات، واستقراء قوانين الظاهرة واستقراء قوانين العلل، وتطبيق الكشوف الاستقرائية، وذلك من ثلاث خطوات هي اختبار الفكرة، وتركيب المفاهيم، وتحديد المقادير .

ولا شك أن من الأسئلة الهامة التي ينبغي الإجابة عنها في صدد الكلام عن كتاب إحياء الأرجانون الجديد، السؤال عن السبب الذي دفع هيوول عن إحياء أرجانون بيكون ! .

اعتقد أنه ربما يكون هيوول قد نظر إلي كتاب بيكون علي أنه ليس كتابا مستقلا بالمعني الصحيح وإنما هو جزء واحد من ستة أجزاء كان بيكون يعتزم تأليفه تحت عنوان شامل هو الإحياء العظيم . وبهذا يكون قد اعتبر أن الأرجانون الجديد ليس كتابا مستقلا وإنما هو جزء من كتاب، أو علي الأصح جزء من خطة عامة لإصلاح العلم وللنهوض بحياة الإنسان .

ومن الواجب دائما أن ينظر إليه داخل سياقه الطبيعي لا أن يأخذ علي أنه بحث منفصل يمثل أهم كتابات بيكون . وقد تضمن القسم الثاني من الأرجانون الجديد خطة فرعية لهذا الجزء، لم يستطع بيكون أن يتمها بدورها . وهكذا فإن الأرجانون الجديد جزء من خطة شاملة لم تكتمل منها إلا جزء بسيط وذلك بشهادة بعض الباحثين⁽¹⁷⁾ .

وبالتالي فإن الأرجانون الجديدة قد ظل كتابا مبتورا لم يحقق إلا جزء ضئيلاً من برنامجه، مثلما أن هذا البرنامج بدوره جزء من كل أكبر لم يكتمل . والإضافات الجديدة التي أسهم بها بيكون في نظرية الاستقراء لا تكفي علي أهميتها، لكي تجعل منه فيلسوفا من فلاسفة

الصف الأول، وذلك لأن موضوع الاستقراء بأسره غامض، يصعب تحديد قيمته هو ذاته بالنسبة إلي تقدم العلم، كما يصعب إدراجه ضمن النظريات الفلسفية المعروفة⁽¹⁸⁾.

وربما يكون ذلك هو السبب الذي دعا هيوول إلي تأليف كتاب إحياء الأرجانون الجديد لكي يعالج الأمور المنهجية التي عجز ببيكون عن معالجتها وبالذات إهمال ببيكون لقضية الفرض العلمي فمن المعروف أن الهدف الذي كان يسعى إليه ببيكون من منهجه كما يري بعض الباحثين وخاصة الجانب السلبي منه، أن يبدأ العلم الصحيح من الملاحظات.

فالعالم الحق بالنسبة لبيكون هو النموذج الملاحظ الموضوعي الذي يخلص الناس من أوهام وأساطير الماضي، وهذا هو موضع النقد لبيكون، لأن ما يؤخذ عليه هو أنه بدأ بملاحظات بدون فروض ويستلزم هذا المطلب للملاحظة غير المسبوقة بافتراض لاختيار العلل الصحيحة للأشياء، أن يلاحظ العالم كل شئ في محيط الحالات الإيجابية⁽¹⁹⁾.

حقيقة أنه ليس من السهولة للعالم أن نقول له أبدا بالملاحظة وتجميع الوقائع ذات الصلة بالبحث لأن الانتباه للوقائع غير ذات الصلة ليس مجديا. إلا أن الوقائع ذات الصلة لا تكون منفصلة عن بقية الوقائع الأخرى كما أنها لا تكشف طواعية عن سماتها المميزة لها.

إذا لا بد وأن يكون الأخذ بالاعتبار لوقائع بعينها ذات الصلة بالبحث معتمدا علي أفكارنا، وبدون هذه الأفكار المرشدة أو الفروض لا يكون هناك ما يمكن أن يلاحظه العالم. فمما لا معني له القول أنه يجب البدء بجمع الوقائع كلها ذات الصلة بالمسألة المراد بحثها. وقد يكون من المعقول جمع أنواع مختلفة من البيانات مما لا تقيده مسألة

البحث ولكن بالاستناد إلي فرض ما . فجمع الوقائع يكون بالاستناد إلي فرض بعينه، وليس بالاستناد إلي معضلة معينة . ومن ثم فإن جمع الوقائع من غير ما توجيه أو فرض سابق خاص بمشكلة البحث، إنما هو يكون جوهريا خطأ . ذلك أن الفروض تحدد نوع البيانات التي يجب جمعها (20) .

ولذلك فإن أهم أوجه القصور عند بيكون أنه بدأ بملاحظات بدون فروض، ورغم ذلك فإنه عند إعداد الحالات طبقا لقوائم بيكون، فإننا سنضيف الحوادث المراد بحثها تحت تصورات بعينها حتى يمكن أن نري الحوادث المتشابهة أو غير المتشابهة .

ولكي يتم ذلك لابد من الفروض المسبقة والتي علي أساسها تلتقط التماثلات والاختلافات الهامة أو ذات الصلة بموضوع البحث، ونهما بقية التماثلات الأخرى . فبدون افتراضات لا تكون هناك قوائم، كما أنه لا يمكن أن ينفذ منهج بيكون الإيجابي، ومن ثم يجب أن نقوم بتحليل الوقائع وتصنيفها علي أساس الفروض، لأنه من غير استناد إلي شئ من هذه الفروض، فإنه لن يكون التحليل والتصنيف ذا فائدة تذكر (21) .

ويؤكد هيوول مثلا أن القوائم الفلكية التي قدمها "تيكوبراهي" لم توضح في ذاته قوانين كبلر (1571 – 1630)، بل عكف كبلر علي دراسة نتائج براهي المسجلة عن حركات الكواكب وخاصة كوكب المريخ . وبعد سنوات طويلة من الأفكار المتأملة استطاع كبلر أن يقدم الصياغة الرياضية والقوانين التي تعبر عن حركة الكوكب .

ويوضح ذلك أن الملاحظة لم تكن الخطوة الأولية وإنما فحص الأفكار المقصودة مسبقا بواسطة مقاسة أو محددة بدقة هي الأساس . فبدون الأفكار الجيدة لم يكن ممكنا للباحثين البدء لأنه لن يكون هناك ما يمكن تحقيقه (22) .

وخلاصة القول، فإن كتاب : إحياء الأرجانون الجديد " جاء استكمالا لأرجانون بيكون الذي لم يشر في متن منهجه لخطوة الفرض العلمي باعتبارها من مراحل المنهج العلمي الأساسية . وقد فسر هيوول موقف بيكون هذا من الفرض بأنه كان يعتقد أن الفروض تقضي إلي أغاليط، وهذا مما جعله يهتم بالملاحظة والتجربة دون الفروض .

وبالتالي فإن بيكون لم يدرك أهمية أن تكون الملاحظات أو التجارب موجهة بالفرض العلمي، كما أن إنكاره للفرض، إنما نتج من حذره الشديد في قبول آراء لم تمحصها التجربة، رغم أنه استخدم الفرض العلمي دون أن يدري، وبالتالي وضع هيوول " إحياء الأرجانون الجديد "، إحياء لأفكار بيكون، وصاغ هيوول الأفكار التي توصل إليها في صورة فقرات علي غرار ما فعل بيكون (23) .

وثمة نقطة أخرى جديرة بالإشارة، يؤكد عليها هيوول، وهي أن أصحاب النزعة الاستقرائية، لم يفتنوا لدور التصورات الرياضية والاستدلال الرياضي كأدوات جيدة يمكن للمنهج الاستقرائي أن يتزود بها، وهنا نجد هيوول يلقي باللائمة علي جون ستيوارت مل وليس بيكون، فهيوول يري أن بيكون لم يكن في موقف يسمح له بوضع نظرية في المناهج الاستقرائية للفيزياء الرياضية، لأن الفيزياء الرياضية كانت لا تزال في مهدها ؛ حيث أنه لم يتضح إمكان استخدام المناهج

الاستبطاطية مقترنة بالاستدلالات الاستقرائية إلا بعد ظهور نظرية الجاذبية عند نيوتن⁽²⁴⁾ .

وعلي ذلك فليس سيكون هو الذي ينبغي أن يلام علي دراسته للمنهج من خلال أنموذج مفرد في البساطة يفضل دور الرياضيات في الفيزياء، وإنما الواجب أن يوجه هذا اللوم إلي جون ستيوارت مل الذي وضع منطلقا استقرائيا لا يكاد يرد فيه ذكر المنهج الرياضي، وكان في أساسه صياغة جديدة لأفكار بيكون⁽²⁴⁾ .

ومن هذا المنطلق شرع هيوول في كتابه " إحياء الأرجانون الجديد" ليؤكد أن دراسة تاريخ العلم تكشف عن عملية استقرائية لاتماثل البتة حجة تعميم الملاحظات المستقرة، الذي اعتمده استقرائية مل، بل ثمة ربط للوقائع التجريبية من خلال مفهوم عبقرى . وهنا نظر هيوول إلي الخطوة الغامضة التي تنتقل بها من ملاحظة الوقائع الجزئية بعضها ببعض، وهذه الخطوة معتمدة علي أفكار صاغها الفهم⁽²⁵⁾ . وهذا يعني أنه من أجل وضع قانون علمي أو نظرية علمية لا يكفي مجرد جمع الوقائع، وإنما الضروري هو الربط الحقيقي للوقائع عن طريق مفهوم يكون صحيحا ملائما، وفي هذا يقول هيوول : " الاستقراء هو مصطلح ينطبق علي وصف عملية الربط الصادق للوقائع من خلال تصور دقيق وملائم " (26) .

والواقع أن هيوول هنا وفي مواضع أخرى من كتابه " إحياء الأرجانون الجديد " ؛ إنما يصف منهج الاستبطاط الذي يبدأ من فرض نظري فتراه يقول مثلا " أن النجاح فيما يبدو يتحقق بوضعنا لعدة فروض نتحسس بها المواقف لنختار منها ما هو صحيح " .

وهذا التأكيد علي قيمة الفرض في العلم هو الإضافة الباقية التي أضافها هيوول، ولما كانت الوقائع المراد شرحها يمكن عندئذ أن نستببط من الفرض، فإن الاستقراء والاستنباط ليسا نوعين مختلفين من الاستدلال كما رأي جون ستيوارت مل؛ بل إن كل منهما هو الآخر علي نحو معكوس "؛ فالاستنباط يبرر بالحساب ما قد حدسه العقل حدسا موفقا" (27).

وعلي هذا فإن الاختلاف بين "هيوول" و"مل" يتمثل في أن هيوول كان مهتما بمنطق الاكتشاف في العلم، ولا شك أنه كان علي الصواب فيما يتعلق بذلك، بينما كان مل معنيا أساسا بمنطق الاستقراء من حيث أنه طريقة برهان أو عملية تحليل تتدرج مني مقدمات جزئية تنتهي عادة إلي نتيجة عامة، وهذا في نظر هيوول خطأ ذلك أن مل لم يميز بين عملية الحصول علي عبارات هامة من الوقائع وعملية تأييد أو برهنة هذه العبارات.

فطبقا لتعريف ميل يكون الاستقراء عملية كشف وبرهنة الجمل العامة للعلم. فلقد تناول عملية الكشف والبرهان باعتبارهما وجهين متساويين في الأهمية لنفس العملية الاستقرائية (28). ولكن الممارسة العملية أوضحت الاختلاف بين هاتين العمليتين. ولقد ظهر هذا الفارق بين هذين الوجهين للبحث العلمي فالعلماء وثبت أن عملية اكتشاف الجمل العامة للعلم لا يمكن أن يخضع لمشروع ثابت يكون جزء من منطق اكتشاف.

فالتفكير الفعال يتطلب إطلاق العنان للفكر والخيال. الالتزام بقواعد جامدة من شأنه أن يعوق التفكير. إن أكثر الأفكار خصوبة غالبا ما تكون تلك الأفكار التي لم تستطع القواعد أن تحكمها (29).

وبصفة عامة لا يوجد منهج محدد للكشف عن حقيقة جديدة .
فالكشف عما هو غير معروف إلى الآن يتضمن وثبة في الظلام .

وفي أواخر حياته انتاب هيوول شعور حاد بأن الاستقراء القائم
علي التعميم لا يكفي . لم يكن عصره يسمح بإسقاط الاستقراء ،
فأكتفي هيوول بأن الاستقراء والاستنباط يصعدان ويهبطان الدرج
نفسه ، وعلي أساس المفهوم العقلي العبقري أو النقطة الغامضة ، عمل
هيوول علي تطوير المنهج التجريبي ليتخذ إلي حد ما المنهج الفرضي
الاستنباطي الذي يعني إبداع فروض علمية ثم اختيارها تجريبياً ،
والحكم عليها والاختيار بينها وفقاً لنتائج التجريب .

ولم تعرف قيمة هذه الدعوة إلا في النصف الثاني من القرن الثاني
العشرين ، حين تبلور صورة المنهج التجريبي بوصفه اختياراً للفروض
وليس البتة تعميماً لوقائع مستقرة ، وأصبحت الأطراف المعنية تتفق علي
أن المنهج التجريبي هو المنهج الفرضي الاستنباطي (30) .

وفي هذا نجد هيوول بشهادة بعض الباحثين سبق روح عصره ،
خاصة وأنه أدرك بجلاء أن المسألة أعمق من التعميم الاستقرائي ، وأن
المعرفة العلمية ليست محصلة التجريب ، بل محصلة تفاعل العقل مع
معطيات الحواس . وبينما انشغل أصحاب النزعة الاستقرائية بالوقائع
الجزئية الملاحظة ، انشغل هيوول بإبداع الفرض العلمي وبالنظرية ودور
العالم وإمكاناته العقلية ، مؤكداً خطأهم في إهمال الفرض والتعويل
علي التعميم (31) .

إلا أن آراء هيوول لم تسلم من نقد الاستقرائيين له ، فقد صب
جون ستيورات مل جام نقده علي هيوول واعتبر فكرة الفرض عنده تأثيراً
منه بكانط ونزوعاً نحو المثالية الألمانية ، وقد كانت المثالية الألمانية في

زمن هيوول مضطهدة في إنجلترا ، فتراجعت نظرية هيوول الأكثر نفاذاً واستبصاراً التي تقرر دور العقل الإنساني المحوري في الإنجاز العلمي، مثلما تراجعت رؤيته لفلسفة العلم المسلحة بتاريخه . وساد الاتجاه المقابل لأصحاب النزعة الاستقرائية التبريرية اللاتاريخية والذي جسده " جون ستیورات مل " في ذلك العصر⁽³²⁾ .

ثانياً : الفرض كمرحلة أولى

إن الثورة العلمية التي أحدثها " نيوتن " قبل عصر هيوول في مجال الرياضيات والبصريات وما أستتبعها من نتائج عملية في مجال الرياضيات التطبيقية ، وعلي وجه الدقة في الميكانيكا والفيزياء العملية ، أفضت إلي استخدام التجريب بصورة تكاد تكون شبه دقيقة إلي حد ما في مجالات العلم المختلفة . ومع ازدياد التجريب أصبحت النتائج التي أمكن الحصول عليها من التجارب بمثابة محصول نظري جديد يسمح لنا بتنبؤات وتجارب أخرى ، وعلي هذا الأساس نتجه إلي مزيد من التجريب إذا ما أيدت هذه التنبؤات مشاهدات ووقائع جديدة تتفق مع المعطيات النظرية . أي أنه بصورة أو بأخرى يمكن لنا القول بأن حصيلة البحث في الاتجاه الاستقرائي ازدادت بصورة ملحوظة بعد عصر نيوتن ، مما جعل الباحثين يتصدون لتفسير الوقائع علي أسس منهجية⁽³³⁾ .

ومع أن هذه المرحلة تتسم بنزعة استقرائية واضحة ، إلا أن وليم هيوول يكشف لنا في أكثر من موضع من مؤلفاته عن خصوبة الجانب العقلي المتمثل في ابتكار الفرض إذا ما أضيف كبعد جديد لتفسير الوقائع ، حيث أن العالم وهو بصدد تفسير وفهم الظواهر الموجودة في العالم الخارجي ، لا بد له أن يلجأ لأهم خطوة من الخطوات المنهجية ،

التي تتمثل في إضفاء مقولات العقل الخلاق، لتحديد الطريقة التي تعمل الظواهر وفقاً لها، وهي خطوة الفرض⁽⁴³⁾.

وفي إثبات خطوة الفرض لم يعتمد وليم هيوول إلى حصر المنهج الاستقرائي في قواعد محددة كما فعل جون مل الذي يري أن الاستقراء جسر نعبر عليه من الوقائع إلى القوانين؛ فهو عملية منطقية تثبت بها أن ما يصدق علي بعض أفراد فئة ما يصدق علي الفئة بأكملها، أو أن ما يصدق علي بعض أجزاء الصنف علي الصنف كله بوساطة تحقيق ظروف مماثلة، وإنما نحا هيوول منحى آخر أقرب ما يكون إلى الأسلوب العلمي الدقيق، فلقد استقرا تاريخ العلم الحديث واستنتج منه أسس المنهج الاستقرائي الذي طبقه العلماء منذ جاليليو، وكانت الفكرة الأساسية التي خرج بها هي التالية: إن الاكتشافات التي توصلت إليها العلوم الاستقرائية إنما يرجع الفضل فيها إلى فعالية الفرض العلمي؛ بمعنى أن الكشف العلمي يرجع أساساً إلى الفرضية لا إلى الاستقرائية؛ حيث يري هيوول أن الاستقراء وحده لا يكفي و بل لا بد من فرضية توجه البحث وتقوده قبل الاستقراء وخلالها وبهده. ولا توجد طريقة أو طرق محصورة يسلكها الذهن، دون غيرها، للانتقال من الفرضية إلى القانون، بل ليس هناك ما يفصل بين الفرضية والقانون غير تلك التجارب والعمليات الذهنية التي تقودها الفرضية⁽³⁵⁾.

وانطلاقاً من هذا شرع هيوول يؤكد أن دراسة تاريخ العلم تكشف عن عملية استقرائية لا تماثل البتة حجة التعميم التي يتمسكون بها، بل ثمة ربط للوقائع التجريبية من خلال مفهوم عقلي عبثي، وهذا المفهوم متقدم من خلال العقل في القضية العامة ولا يوجد في أي من وقائع الملاحظة⁽³⁶⁾.

وهنا اهتم هيوول بوضع نظرية في الاستقراء مستمدة من تاريخ العلوم التي اتفق العلماء علي وصفها بالاستقرائية، فانتهي إلي أن تاريخ الاستقراء يدل علي أن الاستقراء الذي يقوم به العالم ليس برهانا منطقيا يصدق بقوة صورته، بل هو طريقة أخرى للوصول إلي الحقيقة : إنه مسلك مغامر يتخذه العقل ويصنع فيه صنيع من يحاول حل لغز : فيجرب ويحاول عدة فروض، إلي أن يقع بحدس صائب علي الفكرة الصائبة⁽³⁷⁾.

ومعني هذا أنه ليست المسألة إذن مسألة ما هي الشروط التي بها يكون هذا المسلك صحيحا - وهو لا يمكن أن يكون صحيحا أبدا، بل فقط ما إذا كانت النتيجة سليمة والعناية والتدقيق إنما يتعلقان بالرقابة التجريبية علي القضية الاستقرائية، لا بصياغتها مما يسمح للخيال بمجال واسع، ولا فائدة من وضع منطق استقرائي، وصياغة قواعد للاستقراء مناظرة لقواعد القياس، فالاستقراء لا يقوم علي تعميم وقائع الملاحظة، بل يقوم بربط بينهما برباط عقلي من خلال مفهوم جديد يزودنا به العقل لا الظواهر⁽³⁸⁾.

وهذا المفهوم الذي يتقدم به العقل هو الفرض، لأنه في كل استدلال نقوم به عن طريق الاستقراء يوجد تصور ما يقدمه العقل ولا تقدمه الظواهر. ونتيجة الاستدلال ليست محتواه في المقدمات، ولكنها تحتويها عن طريق إدخال عمومية جديدة. وحتى نحصل علي استدلالاتنا فإننا نذهب بعيدا إلي ما وراء الحالات الماثلة أمامنا، وتعتبر هذه الحالات مجرد تبسيط لحالة ما مثالية تكون فيها العلاقات تامة. ونحن نأخذ معيارا معيننا نقيس به الوقائع بواسطته، وهذا المعيار نحن الذي نؤلفه ولا تقدمه لنا الطبيعة⁽³⁹⁾.

ومن ناحية أخرى يري هيوول أن الاعتقاد السائد الذي يري في الاستقراء الوسيلة التي نحصل بها علي قضايا عامة، انطلاقا من الأحوال الجزئية، والذي يقرر أن القضايا العامة تنتج فقط من تجمع هذه الأحوال وضم بعضها إلي بعض هو كما يقول هيوول - اعتقاد خاطئ تماما، حيث أن " الحقيقة الاستقرائية ليست علي الإطلاق مجرد تجميع فقط للوقائع. إن الشئ المعمول هو أكثر من ذلك وهو التمهيد لعنصر عقلي جديد والعقل لكي يكون قادر علي أن يقدم هذا العنصر يجب أن تتوافر له مواهب ونظام عقلي مميز" (40).

كما أننا إذا رجعنا إلي الوقائع وتتبعنا الخطوات التي سلكها الباحثون، وجدنا أن الأحوال الجزئية لا تجمع هكذا عرضا، بل هناك دوما فكرة موجهة، فكرة أدخلت في القضية العامة نفسها ولا توجد في الوقائع الملاحظة. ولكن عندما تندمج هذه الفكرة الموجهة في معطيات التجربة لتشكل معها مركبا جديدا، ينسي الناس تلك الفكرة ويعتقدون أنها من صميم الواقع، تماما مثلما يعتقدون أن القلادة هي دوما قلادة، في حين أن الفكرة التي جعلت منها قلادة هي من الإنسان. فلا يوجد في العالم المادي إلا جواهر معزولة. إن الإدلاء بفكرة تجمع شتات الظواهر عملية تستلزم اقتراح فرضية. والفرضية تؤخذ من جملة أفكار أخرى؛ أي تختار من بينها لكونها أقرب إلي تفسير الظواهر. واقتراح الفرضية من طرف الباحث عمل ينم لا عن ضعف، بل عن قوة ويتطلب جرأة وعبقرية (41).

ويؤكد هيوول أن اكتشاف كبلر لفكرة الاهليج يعد مثالا للاستقراء الحقيقي الذي يدعو إليه، فقد كانت المشكلة الأساسية التي واجهت العالم الطبيعي منذ عصر كبلر، هي مشكلة الحركة.

كيف نفسر حركة سقوط الأجسام الطبيعية ؟ وكيف نربط بين حركة تفسير تقدمه لحركة الجسام الطبيعية علي الأرض، وتفسير حركة الكواكب . وقف كبلر علي أساس نظرية كوبرنيقوس في علم الفلك، وعرف عنه فكرته الأساسية القائلة بأن الأرض تدور حول الشمس في مدارات دائرية، وهو تصور يرجع إلي أرسطو الذي ذهب إلي أن الدائرة أكمل الأشكال .

وبالتالي لا بد وأن تكون الحركة دائرية . وضع كبلر ملاحظات تيكوبراهي موضع الاختبار الرياضي ليعرف العلاقة الرياضية التي تقوم بينها . وحاول أن يستتبط من هذه الملاحظات النسبة بين الزمن الذي يستغرقه الكوكب ليدور حول الشمس وبين بعده عن الشمس . هل هذه النسبة واحدة لجميع الكواكب ؟ لم تكن الأدلة التي توافرت لديه كافية للقيام باستتباط هذه العلاقة وتقديرها في قانون . والسبب في ذلك أنه كان يقوم بإجراء حساباته الرياضية علي أساس أن الحركة، كما تصورها كوبرنيقوس وأرسطو من قبل دائرية⁽⁴²⁾ .

ومن ثم اتجه إلي وضع فرضه الأول وضعا جديدا : هل نسبة مربع الزمن والمسافة واحدة لجميع الكواكب ؟ وضع الفرض في صورته الأخيرة يعد تعديلا للصورة الأولى، وبالتالي احتاج كبلر لأن يقوم بإجراء حساباته علي كوكب واحد، ثم يقوم بتتبع نتائجها بالنسبة لجميع الكواكب، فاتخذ كوكب المريخ نموذجا له . لاحظ كبلر أن كوكب المريخ يتخذ مواضع متغيرة في أوقات مختلفة من السنة . كيف يمكن أن يحدث هذا التغير في وضع الكوكب ذاته ؟ لقد تصور كبلر المشكلة من خلال الخيال الرياضي، فإذا مد خط من الشمس إلي

كوكب المريخ، فإن هذا الخط بناء علي هذه المواضع التي يتخذها الكوكب، سيقطع مساحات متساوية في أزمنة متساوية⁽⁴³⁾.

والنتائج الاستنباطية التي توصل إليها كبلر تدل علي صحة هذا التصور، ومن ثم وضع قانون تساوي المساحات الذي ينص علي أن " الخط الذي يربط الكواكب بالشمس يمر بمساحات متساوية في الأزمنة المتساوية . كان من الطبيعي أن يكتشف كبلر اختلافات جذرية في حساباته لأوضاع كوكب المريخ، عن حسابات كوبرنيقوس، فتساءل عن شكل المدار الذي يتخذه الكوكب . إن فكرة كوبرنيقوس عن المدار الدائري لا تؤدي إلي نفس النتيجة التي توصل إليها كبلر في قانونه السابق . فما هو شكل المدار .

اتجه كبلر إلي معالجة الملاحظات التي دونها تيكوبراهي مرة أخرى، فتبين له أن المدار لا يمكن أن يكون دائرياً ، فافتراض أنه بيضاوي، وعن طريق الرياضيات وجد أن نتائج عملياته الرياضية تتفق مع الوقائع الملاحظة، وأن الكواكب فعلاً تتخذ مدارات بيضاوية، فعمم فرضه عن المدار البيضاوي في قانونه القائل إن " الكواكب جميعاً تدور حول الشمس في أفلاك بيضاوية تقع الشمس في إحدى بؤرتيها "، وقد أفضي به هذا الاكتشاف إلي التوصل لتجريدات تتعلق بالخصائص الفيزيائية لكل من الشمس والكواكب⁽⁴⁴⁾.

ومن هذه النتيجة أمكن لكبلر، أن يتوصل للإجابة علي سؤاله الأول، فقد تبين له أنه بالنسبة لجميع الكواكب يتناسب مربع الزمن تناسباً طردياً مع مكعب متوسط المسافة من الشمس "، وهو ما يعرف بالقانون الثالث⁽⁴⁵⁾.

وهنا يري هيوول أنه بالنسبة لاكتشاف كبلر، فإن النقاط التي لوحظت في مدار المريخ، كانت معروفة من قبل، ولكن عندما طبق كبلر "مفهوم" القطع الناقص، اكتشف وعلى الفور المدار الصحيح، وكبلر كان أول من طبق هذا المفهوم، القطع الناقص، على مسار مداري لكوكب، وذلك لأنه لديه فكرة واضحة للغاية في عقله عن القطع الناقص⁽⁴⁶⁾. ولعل ذلك مهم لأن الأفكار والمفاهيم الأساسية مصدرها العقل، ولكنها لا يمكن استخدامها من منظور فطري، فهي لا تقف وحدها. وهيوول يشرح ذلك بأن "البذور الأولى لهذه الأفكار كانت على الأقل موجودة في العقل البشري في مرحلة ما قبل الخبرة المكتسبة، ومن خلال عملية التفكير العلمي فهم يتجلبوا للعيان في وضوح ونقاء⁽⁴⁷⁾ .

وهيوول يقصد بهذا "التجلي للعيان" عملية التحليل والتفسير المطول من قبل المفاهيم، فتلك العملية وهذا التفسير هما شرط أساسي سابق لأي اكتشاف، وهذا الاكتشاف يتكون من جزء تجريبي صرف وجزء عقلي صرف. العلماء يحاولون بداية تكوين مفهوم واضح ونقي في عقولهم، ثم يحاولون تطبيقه على الوقائع التي بحثوها بدقة، للوصول إلى الحكم عما إذا كان من الممكن جعل هذه الوقائع مؤلفة تحت قانون عام، وإذا لم يكن ذلك ممكناً، فلعلهم يستخدمون هذا التمرين المتكرر لمحاولات مستقبلية. وبالتالي فإن استخدام كبلر لمفهوم القطع الناقص يعقب عليه هيوول بقولة: "تغذية هذا المفهوم تتطلب تهيئة خاصة، ونشاط خاص ومميز داخل عقل المكتشف، ...الاكتشاف هو مجرد نقاط اتصال يجب أن يكون العقل مطلع عليها، أنواع محددة من الأشكال، وعلاقات محددة للمكان". وبمجرد أن تصبح المفاهيم

واضحة، سيكون من الممكن اختيار المفهوم المناسب لأن يصبح مؤلفاً، ولكن كيف يتم اختيار المفهوم المناسب لأن يكون مؤلفاً، وبمجرد أن أمد كبلر مفهوم الأهلج علي الوقائع الخاصة بمدار المريخ، عممها علي كل أطراف وقائع الملاحظة ليصل في النهاية إلي أن جميع النقاط الممتدة داخل مدار المريخ، إنما تمتد علي هيئة قطع ناقص مع الشمس وفي مركز بؤري واحد⁽⁴⁸⁾.

ويعقب هيول علي ذلك فيقول، : " ... ونفس الشيء يكون كذلك في كشوفات أخرى، فالوقائع تكون معروفة، حتي وإن كانت منعزلة وغير مترابطة، إلي أن يأتي المكتشف، فيضع من مؤنثته الخاصة " مبدأ الربط"، فاللؤلؤ موجود ولكنه في حاجة إلي من ينظمه في عقد منتظم فالمسافات والفترات الخاصة للكواكب كانت كلها تمثل وقائع عديدة متباعدة، إلي أن صاغ كبلر قانونه الثالث الذي استطاع أن يربط تلك الوقائع في حقيقة فريدة متباعدة، ولكن المفهومات الخاصة بتلك القانون كانت مستمدة من عقل كبلر، وبدون تلك المفهومات، فإن الوقائع تكون بلا فائدة. ومن الكواكب التي تصف الاهليجات حول الشمس تأملها الكثيرون بما فيهم نيوتن، إلا أن نيوتن أدرك أنها تتحرف في حركات اهليجية في ضوء جديد - بفضل تأثير قوة رئيسية ناتجة عن قانون محدد، ولذلك فإن هذه القوة تم اكتشافها علي أنها موجودة فعلاً⁽⁴⁹⁾.

**ثالثاً : طرق التحقق من الفرض العلمي وقواعد استخراج
المبدأ العام للوقائع :**

إذا كان لكل من الخيال والحدس دوراً هاماً في نشأة الفروض، وإذا كان للفروض أن تخترع وتقتصر بشكل في العلم، إلا أن هناك جانبان مهمان في الاستقراء عند هيوول: أما الجانب الأول و فيتمثل في أن كل استدلال استقرائي نقوم به يوجد مفهوم ما يفرض علي الوقائع. وأما الجانب الثاني فيبدو في أن اختراع المفهوم الذي يربط بين الوقائع كان أعظم خطوة في الكشف، كما أن اختراع تحقيق القضية الاستقرائية كان أعظم خطوة هامة في البرهنة علي الكشف ذاته⁽⁵⁰⁾.

وعلي هذا الأساس، فإن هيوول يري أن عملية الاستقراء تتألف من الفرض والتحقق، ولهذا فإن ملكاتنا المنظرية هي التي تجعل العالم يستبصر التخمينات أو الفروض الجيدة ذات الصلة بالوقائع، هي التي تجعل العالم يعيش الصدق ويعمل علي تبيين التمايزات من أجل صيانة الابتكار العلمي، فإذا أتضح للعالم أن الوقائع تتناقض مع الفروض كان لزاماً عليه أن يرفض الفروض ويقبل الوقائع بدون تردد⁽⁵¹⁾، وفي هذا يقول هيوول: "إن التحقق من صدق الفروض يجب أن يتم من خلال تطبيقها علي الوقائع، وعلي المكتشف أن يكون مستعداً، وأن يلتزم الدقة في اختبار فروضه علي هذه الحالة، فإذا ما ثبت من خلال الاختبار أن هذه الفروض باطلة وغير مجدية فعليه أن يتركها⁽⁵²⁾."

ولهذا فإن التحقق في رأي هيوول يمثل عنصراً هاماً في الملية الاستقرائية، وقد قدم هيوول في مناقشته أربعة اختبارات للفروض، وذلك علي النحو التالي :-

الاختبار الأول: هو الملائمة، حيث أن "الفرض يجب أن يكون متسقاً مع القضية المستتبطة التي تعرض كل وقائع الملاحظة"⁽⁵³⁾؛ وهيوول في هذا الصدد يود أن يوضح أن الفرض المقترح يجب أن يكون

وثيق الصلة بالظاهرة المراد تفسيرها أو المشكلة المراد حلها ، فإذا كان
الفرض لا صلة له بالظاهرة المراد تفسيرها ، فإنه لن يحقق الهدف المرجو
منه و ويكون الفرض فاشلاً.

الاختبار الثاني : التنبؤ بالوقائع التي لم تلاحظ بعد ، يقول هيوول
" إن الفروض يجب أن تفعل أكثر من وصف ما هو ملحوظ ... فروضنا
يجب أن تنبئ بالظاهرة التي لم تلاحظ بعد ، وبالأخص كل الظواهر
التي من نفس النوع كتلك التي للفرض الذي ثبت انه صحيح ومفيد⁽⁵⁴⁾ ؛
ويقول في موضع آخر " إن الفروض التي نقبلها ينبغي أن تفسر الظواهر
التي لاحظناها ، وأكثر منهذا ينبغي ان نتكهن بالظواهر التي لم
نلاحظها بعد " ⁽⁵⁵⁾ .

وهنا يريد هيوول أن الفرض يكشف عن أصالته من خلال عنصر
التنبؤ والتكهن إلي الجانب التفسيري ، لأنه إذا اقتصر دور الفرض علي
التفسير فقط ، فإن هذا يعني بالضرورة أننا لن نعرف سوي ما نلاحظه ،
ولكن إضافة عنصر التنبؤ إلي التفسير ، يعني إتاحة الفرصة أمام
الباحث أو العالم لأن يقوم بمزيد من التجارب ، مما يتيح لنا إمكانية
الكشف عن ظواهر سوف ترد في المستقبل . فكأن الفرض بعد أن
اقتصرت وظيفته في المرحلة الأولى من التجريب علي الجانب التفسيري ،
أضيف عنصر التنبؤ كوظيفة في عصر هيوول⁽⁵⁶⁾ .

الاختبار الثالث : الذي ذكره هيوول هو قدرة الفرض علي
التفسير والتنبؤ بالحالات ذات النوع المختلف التي تم تأملها في تشكيل
الفرض . وحين نستخدم هذا فإننا سوف نصل إلي ما ذكره هيوول عن "
ربط الاستقراءات " وهذا الربط يعني أن قانونين يمكن الحصول عليهم
من خلال استقراءات مستقلة وتتضمن بوضوح أصناف متغايرة من

الظواهر يمكن أن تتضمنهم جميعاً وقابلة لأن تتجزأ من فرض واحد أو من نفس الفرض . وهذه المقومات تجعل الاختبار دقيق وحاسم في تصحيح الفرض (57) ؛ وفي فقرة أخرى يؤكد هيوول أن ربط الاستقرارات يمثل البينة الأكيدة علي مصداقية الفرض في أكثر من طرفين هما : حين يمكننا الفرض من تفسير وتحديد الحالات التي من نفس النوع تكون مختلفة عن تلك التي تأملناها في تشكيل فروضنا . وكذلك حين نفسر اثنين أو أكثر من الأنواع المختلفة للظاهرة ، كدوران الكواكب وسقوط الأحجار ومبادرة الاعتدالين " (58) .

الأختبار الرابع : هو البساطة ؛ وفي هذا يقول هيوول " قد يحدث أن نجد فرضين متنافسين علي تفسير نفس الوقائع ، وفي نفس الشروط ، فأيهما يختار العلماء ؟ الحقيقة أنه إذا حدث ذلك ، فإنه يتم اختبار الفرض الأبسط " ؛ ويقول أيضاً " كل الافتراضات الإضافية تميل نحو البساطة والتناغم " (59) .

هذه هي الاختبارات الأربع التي أضافها هيوول للتحقق من الفرض العلمي ، والتي يحاول من خلالها هيوول أن يثبت مقارنة الفرضيات مع معطيات الواقع ، وأنه لا بد من التخلي عنها عندما لا يكون هناك تطابق بينها . إلا أن هيوول لا يكتفي بذلك ؛ بل يؤكد أنه يمكن أن تستعمل الفرضيات في العلم وتؤدي دوراً كبيراً ، حتى ولو لم يكن هناك ما يؤكد في التجربة . ذلك لأن دور الفرضية في العلم ، شأنها شأن النظرية دور مؤقت ، وتقدم العلم يصحح الفرضيات ويعديلها باستمرار .

وهناك في تاريخ العلم من الفرضيات ما أثبت العلم عدم صحتها ، ولكن مع ذلك قامت بدور كبير ، لا في تفسير الظواهر المدروسة وحسب ، بل وفي التنبؤ بظواهر جديدة أيضاً (60) ، يقول هيوول : " الفروض

أحيانا ما تخدم العلم حتى وإن تضمنت جزء غير متكامل وقد يكون هذا الجزء علي خطأ⁽⁶¹⁾، ويقول: "إن الفروض التي ثبت بطلانها قد أفادت في تقدم العلم، وذلك لكونها قد فسرت جوانب عديدة من الظاهرة، وإن كانت لم تفسر الظاهرة ككل⁽⁶²⁾."

وهيوول اعترف أيضاً أن تاريخ العلم يحتوي علي العديد من الأمثلة للفروض الكاذبة التي قامت ببعض التنبؤات الصحيحة مثل نظرية "الفولوجستون"⁽⁶³⁾؛ ولذلك فهو لم يعتقد أن القدرة التنبؤية المحددة تكفي لاقتناعنا بصدق الفرض، ولكن أكد أنه حين يجتاز الفرض أكثر من اختبار صارم، فإن ربط الاستقرارات طبقا لهيوول "تمثل البيئة التي تقودنا إلي إثبات أن النظرية صادقة"⁽⁶⁴⁾.

ويشرح هيوول ذلك فيقول "إن القول الذي يجب ان نتذكره دوما هو أن الفرض سيكون دائما في خدمة العلم، حتي وإن كان يحمل نصيب من النقصان وعدم الاكتمال، بل وحتى إذا كان خاطئا، فإنه يستحق منا الاهتمام به، وهل الاهتمام يتمثل في تجميع هذه الوقائع وفرضياتها معا، ليصبحوا في نسق واحد، ومن ثم فسيخرج وبصورة أوتوماتيكية الفرض الخاطيء، سنستبعده، بل سيستبعد نفسه عندما نفسر الظاهرة وفرضياتها، وبالأحرى عندما نربط أطرافها معا". وهذا ما فعله نيوتن بلا شك، فقد صحح وحدد من استعمال بعض قوانين كبلر وشرح بصورة غير مباشرة كيف أنها ستكون في خدمة الجانب العلمي رغم وجود بعض الأخطاء⁽⁶⁵⁾.

ويعطينا هيوول مثالا لأهم الفرضيات التي تمكنت من التنبؤ الصحيح بظواهر جديدة، علي الرغم من أن العلم أثبت فسادها فيما بعد؛ مثال ذلك قانون الانكسار الذي توصل إليه "سنل"

Sneal (1591 - 1626) الرياضي الفلكي الدانمركي، والذي ينص علي العلاقة الصحيحة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار بطريقة هندسية، تتلخص في أن نسبة قاطع التمام لزاوية السقوط إلي قاطع التمام لزاوية الانكسار ثابتة لكل وسطين، وعلق هيوول علي ذلك فيقول: " إن الافتراضات العقيمة المتعددة التي تم التوصل إليها لاكتشاف قانون الانكسار مهدت الطريق إلى اكتشافها الصحيح والحقيقي الذي توصل إليه Sneal " (66).

وننتقل إلي الكشف عن قواعد استخراج المبدأ العام للوقائع من خلال عملية التحقق؛ حيث يقرر هيوول هنا أن لدينا ثلاث خطوات أساسية هي: اختبار الفكر، وبناء التصور، وتحديد المقادير.

أما من حيث اختبار الفكرة فإن هيوول يضع قاعدة بحثية هامة هي: يجب أن يكون هناك تجانس بين الفكرة والوقائع. فإذا لاحظنا الوقائع وقسناها بالرجوع إلي المكان فلا بد من ربطها بفكرة المكان، لأن الفكرة تختبر عن طريق الوقائع (67).

وأما من حيث التصور وتحديد المقادير والأهمية فقد أشار هيوول إلي مجموعة من المناهج التي تميزت بالترابط والدقة في المعالجة، أكثر من اعتبارها إسهاما أصيلا من جانب هيوول، ومن بين هذه المناهج مايلي:

أ- منهج المنحنيات The Method of Curves هو الذي يتألف من رسم منحنى تكون الكميات الملاحظة ممثلة علي الأحداث الرأسية، أما الأحداث الأفقية فيمثل مقدار التغير في الكمية الملاحظة. وكفاءة هذا المنهج تعتمد علي قوة العين التي تلاحظ مباشرة صور الاطراد أو عدم الانتظام. كما تبدو أهميته في أنه

يمكننا من التوصل إلى قوانين طبيعية من الملاحظات الجيدة، ويجعلنا نستبصر الملاحظات الناقصة، كما أنه من جانب ثالث يمكننا من التوصل إلى معطيات تتجاوز الوقائع الجزئية⁽⁶⁸⁾.

ب- **منهج الوسائل أو المتوسطات** وهو الذي يتلأ في بعض الصعوبات المشار إليها من في منهج المنحنيات، فيمكن لنا إجراء تصحيح للملاحظات التي أجريناها من خلال المنهج السابق عن طريق أخذ متوسط هذه الملاحظات، وهذا المتوسط حسابي فقط. ومن ثم فإن كفاءة هذا المنهج تعتمد على أنه في الحالات التي تكون فيها الكميات الملاحظة متأثرة بعوامل أخرى إلى جانب العوامل التي تحدد القانون، فإن الازدياد أو النقصان عن الكميات التي سوف ينتجها القانون موضع التساؤل سوف تتجمع في ملاحظات عديدة في موضع معين⁽⁶⁸⁾.

ج - **منهج المربعات الصغرى**، وهو في الحقيقة منهج الوسائل، ولكن مع بعض الخصائص المميزة. فموضوعه يحدد الوسيلة الأفضل من عدد الكميات الملحوظة أو تكون غالبية القانون المحتمل مشتقة من عدد الملاحظات أو من بعضها أو من كله التي تسمح بأكثر أو أقل الملاحظات الناقصة. والمنهج يبدأ بافتراض أن - كل الأخطاء ليست محتملة بالتساوي، إلا أن الأخطاء الصغيرة ليست أكثر احتمالاً من الأخطاء الكبيرة. ومن خلال التفكير تفكيراً رياضياً في هذا الأساس، نجد أن النتيجة الأفضل هي التي نصل إليها (حيث أننا لا نستطيع أن نصل إلى النتيجة التي تلاشت بسبب الخطأ) من خلال عمل لا يتمثل من الأخطاء ذاتها، ولكن بجمع مربعاتها في في القيمة الممكنة الصغيرة⁽⁶⁹⁾

د- **منهج البواقي** : ينحصر منهج البواقي في إسقاط الكميات المعطاة من خلال أي ملاحظة، والكمية المعطاة من خلال أي قانون مكتشف بالفعل، وبعد أن يفحص الباقي أو المتبقي لكي يكتشف القانون الرئيسي اللازم عنه. وعند هذا يكون القانون الثاني قد اكتشف الكمية المعطاة من خلال ما تم إسقاطه من المتبقي الأول ؛ وهذا يعطي المتبقي الثاني الذي ربما يكون مفحوص في نفس الحالة...إلي آخره . وكفاءة هذا المنهج تعتمد بشكل أساسي علي ظروف قانون التنوع الذي يكون أقل وأقل في القيمة بالتتابع (أو علي الأقل في معناه الحقيقي)، وذلك لكي لا تعيق القوانين الغير مكتشفة بعد ذلك القانون موضع التساؤل الكائن البارز في الملاحظات (70) .

وبعد أن تناول هيوول هذه المناهج الأربعة، وأشار إلي الأسلوب الذي تستخدم به تطبيقا في البحث الاستقرائي، أشار إلي ثلاثة مناهج أخرى تتعلق بالبحث في خصائص الأشياء، وهي علي النحو التالي :-

1- **منهج الاتصال** : وينص علي أن الكمية لا يمكن أن تنتقل من قيمة واحدة إلي قيمة أخرى من خلال آيا من تغير الشروط بدون أن تنتقل عبر المقادير المتوسطة طبقا للشروط المتوسطة. وهذا المنهج غالبا ما يستخدم للتمييزات الغير محسنة التي ليس لها أساس حقيقي (71) .

2- **منهج التدرج** وينحصر في أخذ عدد من المراحل للخاصية موضع التساؤل، ويتوسط بين الحالتين الأخيرتين التي تبدو مختلفة، وهذا المنهج يستخدم لتحديد فيما إذا كانت الحالات النهائية متميزة حقا أم لا (72) .

3- منهج التصنيف الطبيعي وينحصر في حالات التصنيف التي لا تكون طبقاً لأي تعريفات مفترضة ولكن طبقاً لسياق الوقائع ذاتها بحيث تجعلهم وسائل للحقائق العامة المثبتة (73).

من العرض السابق لأراء هيوول تبين أنه ركز علي ثلاث وظائف هامة للفرض العلمي. أما الوظيفة الأولى فتتمثل في تفسير الوقائع الخارجية والالتزام بالظواهر الموجودة فعلاً في العالم المادي. وأما الوظيفة الثانية فتكمن في أن الفرض يجب أن ينبؤنا بكل ما جديد في مجال الظاهرة ويشير إلي الظواهر التي لم نلاحظها بعد. وأما الوظيفة الثالثة فتبدو في أنه يرشدنا إلي البحوث والتجارب المستقبلية التي يمكن للعالم القيام بها.

كذلك فإنه يرجع الفضل إلي هيوول إلي ابتكار بعض المناهج التي يمكن استخدامها للتوصل للقانون العام الذي يربط الوقائع معا، أكثر من الاهتمام بطرق تحقيق الفروض علي غرار ما فعل جون مل. والواقع أن المناهج التي أشار إليها هيوول تعتبر تدعيماً للفرض حتى لانضل الطريق ونحن بصدد استخدام الفرض في البحث العلمي، فإذا اتضح للعالم أن الفرض لا يمثل ما هو واقعي أخذ في البحث عن غيره حتي لا يفسد كشفه العلمي (74).

ثالثاً : جون ستيوارت مل يناظر هيوول :

عندما قرأ جون ستيوارت مل كتاب فلسفة العلوم الاستقرائية لوليم هيوول قرر أن يناظر هيوول حول القضايا الجديدة التي صاغها في كتابه وقد سجل مل تلك المناظرة عبر فصول كتابه " نسق المنطق"

system logic ، ثم قام هيوول بالرد علي تلك المناظرة ، وذلك في الجزء الثالث من فلسفة العلوم الاستقرائية والمسماة بفلسفة الكشف .

نبدأ أولاً : بالخلاف حول كلمة الاستقراء فقد اتفق كلا منهما مبدئياً علي استخدام الكلمة للدلالة علي أي إجراء علمي يبدأ من وقائع خاصة ومحدودة وينتهي بقضية عامة سواء علي تلك الحالة موضع البحث أو علي غيرها وعلي استخدام كلمة الاستقراء أيضا علي عملية ملاحظة النظريات ككل وعملية ربطها معا ⁽⁷⁵⁾ .

وإذا كان مل وهيوول اتفقا حول معني الاستقراء ، إلا أنهما اختلفا حول الأمثلة التي يقدمها كل منهما ، فمل يري أن الاستدلال القائل : " كل البشر فانون " المشتق من القضية " بيتروجون وبول الخ فانون " ، هو مثال للاستقراء . إلا أن الإجابة المفاجئة هو أن هيوول استدل علي أن " كل ما ينتمي إلي ب من القضية القائلة " كل ما يمكن ملاحظته لـ أ يمكن ملاحظته لـ ب " وصف لا يتواءم مع الاستقراء ⁽⁷⁶⁾ .

ويشرح هيوول ديناميكية أمثلته التي يعطيها للاستقراء قائلاً " أنه قد يبدو أن الأمر يتكرر تخيله بأن القضية العامة ناتجة عن وضع الحالات جنبا إلي جنب أو من خلال ربطها وتمديدها معا . ولكننا إذا أخذنا بعين الاعتبار تلك العملية بصورة أكثر دقة ، فسوف نجد أن كل ما سبق وصف غير كافي . الوقائع الجزئية معا هكذا ، ولكن هناك عنصر جديد يضاف للمزيج في كل حركة من حركات الفكر ، ولعل تلك العناصر هي ما تجعلها متجمعة . هناك مفهوم متقدم في القضية العامة ولا يوجد في أي من وقائع الملاحظة ⁽⁷⁷⁾ .

ويترتب علي ذلك أن مفهوم الاستقراء في تصور مل يختلف عن تصور هيوول له ، فهيوول يصر علي أن في كل عملية استقرائية تحمل

بداخلها ما لا تقدمه الظاهرة، وإنما ما يقدمه العقل أيضاً، وما يقدمه العقل لا تستطيع الظاهرة تقديمه، ألا وهو تقديم الفكرة العامة والمفهوم الجديد في كل مرحلة ضروري للوقائع، فهو الذي يجعلها تقفز سويماً لتصل إلي مرحلة القضايا العامة، والتي يتكون منها العلم⁽⁷⁸⁾.

ويصر هيوول أيضاً علي أن أي استقراء حقيقي لا بد من أن تكون الوقائع معروفة، ولكنها معزولة Insulated وغير مترابطة unconnected في البداية ... اللؤلؤ Pearls موجود هناك في انتظار شخص ما يأتي ليربطه في الخيط ليصنع حلية مترابطة⁽⁷⁹⁾.

وهنا اللؤلؤ علي حد تعبير هيوول هي معطيات الملاحظة Data والموجود بالفعل مسبقاً، والخيط String هو المفهوم الجديد الذي يربط ويوحد تلك المعطيات. والقضية "كل البشر فانون" هي قضية لا يصنفها هيوول تحت مفهوم العام، فهي لا تضم مفاهيم جديدة لـ (البشر / و / صفة الفناء) فهي لا توصف بأنها موجودة في أي من وقائع الملاحظة⁽⁸⁰⁾.

أما القضية "كل أ هو كل ب" تحمل قضية تتدرج تحت العام. وللتوضيح أكثر نضرب المثال الآتي "كل الكواكب تدور حول الشمس" قد يكون المفهوم السابق نتيجة لاستقراء حقيقي خاصة إذا كان مفهوم الدوران حول الشمس، قد جاء ليقدّم خصائص شائعة وعامة لكواكب معينة، نعم قد تدور حول الشمس، ولكن ليس من خلال الاستخدام الفعلي لنفس المفهوم. الاستقراء لا يعرف من خلال نتيجة العملية ولكن من خلال العلاقة بين المقدمات والنتيجة⁽⁸¹⁾.

وثمة نقطة أخرى جديرة بالإشارة، وهي أن مل قد اتفق مع هيوول في كل شئ بشأن ربط الوقائع، فيما عدا إصرار هيوول علي أن ربط

الوقائع جزء ضروري وأساسي في كل استقراء . مل اتفق علي الربط أمر مشترك و شائع في العلم . كما اتفق أيضا علي أن المفاهيم تضاف من خلال عقول العلماء . ولكن علي خلاف هيوول ، يري مل أن الربط يأتي في مرحلة واحدة، وهذه المرحلة سابقة علي الاستقراء، وفي تلك المسألة يكمن الخلاف بينهما⁽⁸²⁾ .

يفترض أن هيوول اخطأ فيما يتعلق بالعملية النموذجية للاستقراء، إذ يعتمد الاستقراء عند هيوول خاصة علي تقديم مفهوم جديد . وهذا خطأ في رأي مل لأنه يخلط بين أمرين مختلفين هما الاختراع والبرهان، وفي هذا يعارض مل بشدة كل ما يخص الاستقراء من حيث النظر إليه بوصفه وسيلة لاجتلاب مفهوم جديد . ويقول مل في ذلك أن المفهوم الجديد يمكن الإتيان به بشأن نتيجة استقرائية، وبذلك يتساوي كل من الوصف والاستقراء، ولا تتم التفرقة بين الوصف وبين الاستقراء إلا بسبب خاصية علي شئ غير مرئي ابتداء من شئ خاضع للملاحظة . خذ هذه القضية مثلا : " كل إنسان فان "، إنها بالتأكيد عبارة عن نتيجة استقرائية، وبرغم ذلك فهي لا تقدم أي مفهوم جديد⁽⁸³⁾ .

ومن ناحية أخرى يري مل أن المفهومات غير المتصورة لا يمكن إدراكها إلا من خلال الأشياء وخلال الإجراءات التي تؤدي إلي تكوينها فهي تملك إذن دلالة فاعلية، ومن الصحيح أن مثل هذه العمليات الوصفية البحتة تستلزم إزاءها مفهوما ذهنيا، إذ يقوم المفهوم في عقلنا لا في الواقع، ولكن برغم ذلك لا بد في المفهوم من شئ متصور . وإذا لزم أن يوافقنا المفهوم ببعض المعرفة الخاصة بهذه الوقائع لزم أن يكون مفهوما " عن شئ " ما موجود حقيقة بين الوقائع أو عن خاصية بهذا الشئ

يملكها فعلا ويبيديها لحواسنا إذا كان من طبيعة هذا الشيء أو هذه
الخاصية أن يؤثرنا علي حواسنا⁽⁸⁴⁾.

ولا يتجاهل مل دور مفهوماتنا في دراسة الوقائع، ولم يعارض أحد
في أن البرهنة علي شئ تقتضي وجود مفهوم ذلك الشيء، وعندما نشمل
عدا من الأشياء في تعبير عام يكون مفهوم شئ ما مشترك في كل هذه
الأشياء - متضمنا في التعبير، ولكن لا يلزم عن ذلك إطلاقا أن يكون
المفهوم سابق الوجود ولا أن يكون المفهوم قد تكون في الفكر بغير
مواد خارجية. ويجب أن يكون مفهوم الاهليج قد خطر علي فكر
كبلر قبل أن يكون قد تعرف علي مدار الكواكب السيارة بشكلها
الاهليجي⁽⁸⁵⁾.

ويري مل إذا كان هيوول يؤكد علي أن المفهوم يشبه شيئا
مضافا إلي الوقائع، ويوحي كلامه من بعد بأن كبلر قد وضع شيئا في
الواقع بطريقته في تصورها، غير أن كبلر لم يفعل شيئا من ذلك،
وكان الاهليج قائما في الوقائع قبل أن يتعرف عليه كبلر تماما، كما
أن الجزيرة جزيرة قبل أن ندور حولها، ولم يسقط كبلر علي الوقائع ما
فكر فيه، ولكنه أسقط عليه ما رآه فيها، ولا شك أنه لا يوجد
اختلاف من حيث طبيعة ما نراه وما نتصوره، فالمفهوم شبيه بالإدراك.
ولكن تعقيد التفاصيل التي يلزم وصفها فيما يتعلق بالمفهوم أكبر
بكثير من التعقيد الذي يلزمنا استشعاره إزاء الإدراك: فمثلا إذا
تركت الكواكب خلفها أثر مرتيا في الفضاء وكان المراقب قادرا علي
رؤية أجزائه بأكملها علي التوالي لا دفعة واحدة - فسيكون قادرا
بفضل المواءمة بين ملاحظاته المتقطعة، علي أن يكتشف أن المدار
اهليجي وأن الكوكب يتحرك في مدار اهليجي في وقت واحد، ولا فرق

بين هذا المراقب وبين الملاح الذي يكتشف أن قطعة أرض جزيرة في الواقع بمجرد دورانه حولها⁽⁸⁶⁾.

ولن يعارض أحد كما يقول مل في أنه إذا كان الطريق بالكواكب مرثياً في الفضاء فسيتم تقرير الهوية بينه وبين الاهليج عن طريق تعمد وصفه، وعلى ذلك فعلي الرغم من أن المدار لم يكن مادة حسية مباشرة فقد كانت كل نقطة من نقاطه قابلة للتحديد الدقيق كما لو كان ذلك المدار مادة حسية مباشرة، وهذا من شأنه أن يذلل من ثم عملية العثور على تفصيلات ذات دلالة فيما يتعلق بالمفهوم في إطار العمليات الخارجية التي تشير إلى الوسائل التي يمكن عن طريقها تكوين المفهوم ذاته⁽⁸⁷⁾.

من علي صواب بشأن الأمثلة العلمية ؟ فهيوول ومل قد تناقشوا وتجادلوا حول الطبيعة الدقيقة لاكتشاف كبلر، حيث يبدأ كبلر بملاحظة وضع حركة المريخ بالنسبة للشمس في أوقات مختلفة . وتلك الملاحظات يجب أن ينظر إليها علي أنها تمثل نقاط مبشرة حول الشمس التي استنتج منها كبلر علي أن المدار الذي يدور فيه المريخ اهليجي. هل يمكن أن يكون هذا المثال مصاغ علي أنه مثال للاستقراء بالمعني الذي تصوره مل ؟ هيوول ومل أتفقوا علي أن نتيجة الاستدلال الذي يقول أن "كل النقاط المتمثلة في مدار المريخ تقع في الاهليج ب، حيث ب تمثل اهليج معين". ولذلك في هذا المثال فإن التنبؤ ب أ، معناه وضع المريخ، والتنبؤ ب ب معناه أنه يقع في الاهليج ب⁽⁸⁸⁾.

ولكن مل أصر علي أن الوصف جزء من العملية والعملية التي تصف تلك النقاط علي أنها تقع في الاهليج ب تحدث بشكل سابق علي الاستقراء ذاته . معني هذا أنه قد قال بأن معطيات الخاصة بصورة

الاستدلال تحدث في الوقت س1 ، والمريخ يقع في الاهليج ب وفي زمن س2، والمريخ يقع في الاهليج ب وهلم جرا . ومن الملاحظ أنه بالنسبة لم فإن التنبؤات التي تظهر في القضية العامة تظهر أيضا في وصف المعطيات، ولذلك فإن الاستدلال يكون منطبق من تلك القضية " كل ما يمكن ملاحظته أنه ينتمي إلي أ ، فإنه ينتمي إلي ب " بالنسبة للنتيجة " كل أ هوب " (89).

أما هيوول فيصر علي أن مفهوم الاهليج مقدم أثناء الاستقراء . وبالنسبة لهيوول فإن المعطيات لا تصف استخدام مفهوم الاهليج، وإنما تصفة في معاني لها أفكار أولية مثل " الوضع " و " الزمن "، ففي زمن س1 فإن المريخ يكون في الوضع ص1 وفي الزمن س2، والمريخ في الوضع ص2.. وهلم جرا. وهنا في تلك اللحظة فقط الوقائع تتجمع معا من خلال مفهوم الاهليج، بحيث يبرز من خلال ذلك القضايا العامة التي منها يتكون العلم (90). ولذلك فإن النتيجة التي توصل إليها كبلر ليست مجرد " توحد للأجزاء " أو مجرد جمع للوقائع " Collection of particulars (91). أو الملاحظات المختلفة البسيطة، لأن الملاحظات لا تحتوي علي تصور الاهليج وأن كبلر لم يلاحظ مطلقا مثال التعميم . الأمثلة والشواهد قد يستدل عليها من التعميم بعد الاستقراء الذي قد اكتمل . وأمثلة التعميم هي الكتل التي تبني الاستقراء وتمثل النواتج العرضية للاستقراء . والنظام الذي توصل إليه ما كان خاطئاً وكذلك فهمه للتاريخ كان فهما خاطئاً .

وإذا كان مل يري أن خاصية وقوع الاهليج ب مستدل عليها من البيانات والمعطيات من تلقاء نفسها، ليس في الأمر جديد أضفناه، ومن ثم كان تأكيده (92) علي أن كبلر لم يضيف ما تخيله علي الوقائع،

ولكن شاهد هذه الوقائع بما فيها من خصائص . Kepler did not .
but saw it in ، put what he had conceived into the facts
them ، " نعم المفهوم موجود هناك في الوقائع " قالها هيوول ، ولكن هل
يوجد ذلك المفهوم من تلقاء ذاته ، وإن وجد فهل يفهم بدون مجهود ؟ لقد
وجد كبلر مفهوم الاهليج داخل الوقائع التي لاحظها ، لانه كان يوجد
بداخلها دون شك لسبب ما ، ولكن أيضا لسبب آخر قد حمل بعقله تلك
العلاقات والملكات التي جعلته يدرك هذا المفهوم ويحل شفرته⁽⁹³⁾ . أما
مل فلا يعطينا إجابة مقنعة ؛ حيث يفترض أن يفترض جون مل أن المسار
المريخي ليس علي شكل اهليج بمعنى الكلمة ، فربما أخفق نيوتن أو
اخفق كبلر عندما جمع مل بين نيوتن وكبلر ، إلا أن هيوول وبذكاء
شديد لا يتخذ من افتراض مل فرصة للهجوم عليه ، فهيوول لا يترك
مساحة لاحتمال وجود خطأ في الاستدلال الاستقرائي أو مجرد وجود
خطأ في الفرض ، وحتى لو وجد هل الخطأ فإنه لا يمثل مشكلة بقدر ما
قد يمثل هذا الخطأ دور إيجابي فيمل يقول هيوول فيما بعد .

علي أية حال يقول هيوول " إن القول الذي يجب ان نتذكره دوما
هو أن الفرض سيكون دائما في خدمة العلم ، حتي وإن كان يحمل
نصيب من النقصان وعدم الاكتمال ، بل وحتى إذا كان خاطئا ، فإنه
يستحق منا الاهتمام به ، وهل الاهتمام يتمثل في تجميع
هذه الوقائع وفرضياتها معا ، ليصبحوا في نسق واحد ، ومن ثم فسيخرج
وبصورة أوتوماتيكية الفرض الخاطئ ، سنستبعده ، بل سيستبعد
نفسه عندما نفسر الظاهرة وفرضياتها ، وبالأحرى عندما نربط أطرافها
معا " .

خاتمة الدراسة

بعد هذه الجولة السريعة من عرض إشكالية الفرض العلمي عند وليم هيوول، فإنه يمكننا أن نخلص إلي أهم النتائج وذلك علي النحو التالي :

1- إذا كان وليم هيوول قد هياً نفسه ليكون تابعا لفرنسيس بيكون في منهجه الاستقرائي، إلا أنه كان مطالباً بإعادة إحياء منهج بيكون في الاستقراء علي أن هناك دائماً عنصر جديد يضاف إلى مجموعة المراحل الفكرية، لكل حركة عقلية مجردة من هذه المراحل الفكرية المجتمعة، هذه الحركة العقلية كما يقول هيوول هي عملية " التآليف"، وهو يشرح هذه العملية العقلية بتجميع عدد من الحقائق التجريبية و" تآليفها" ليكون مفهوم يجمع هذه الحقائق و يوحدهم تحت قانون عام، وهذا المفهوم هو فكرة الفرض العلمي.

2- إن الفلسفة العامة للعلم عند هيوول تتصف في ملامحها العديدة بأنها حديثة علي نحو قوي . فقد اهتم هيوول ولكن علي نحو غير بدائي بما يشار إليه الآن علي أنه منطق العلم وتوقع الروابط الصورية بين أجزاء الأنساق العلمية الكاملة. وقد حاول هيوول أن يصوغ القواعد العامة لمنهج البحث العلمي، وبالأخص الاهتمام بالقواعد المنتجة والمعتمدة حقا من قبل نتائج العلماء، خاصة وأن مثل هذه التعميمات المنهجية تنتج منطق العلم . كما حاول هيوول أن يقدم لنا أعمالاً ابستمولوجية كانت مثار إعجاب واهتمام الفلاسفة المعاصرين، وهذه الأعمال كشفت عن مصداقية النتائج العلمية .

3- بالنسبة لهيول، بمجرد أن تخرج النظرية إلى حيز الوجود من خلال "إستقراء" الباحث، لا بد وأن تعبر العديد من الاختبارات الأستتاجية قبل اعتبارها مؤكدة كنظرية مبنية على الاختبار والملاحظة، وهذه الاختبارات هي مجرد سلسلة من التنبؤات المترابطة منطقياً، هذا التصنيف من خلال هيول قصد به أولاً أن يكون الفرض هو الظاهرة المتكهن بها التي لم تلاحظ بعد، وثانياً أن يكون فهم وتحليل هذه القضايا بطريقة مختلفة عن تلك التي تكون بها الفرض في بدايته من خلال تأملنا وتنبؤنا، فالأمر الآن مختلف في هذه المرحلة عن سابقتها، وثالثاً وهو الأهم ان تصبح الفرضيات التي نطرحها أو طرحناها أكثر تماسكا عبر الوقت وإلا فهناك خلل

4- أحد المواضيع الهامة التي تشغل بال فلاسفة العلم الآن وسابقا هي العلاقة بين العلم كممارسة وكتأريخ وبين الكتابة في فلسفة العلم، ولعل إهتمام هيول بذلك الجانب إنما يرجع إلى كونه أحد الممارسين للعلم وأحد المؤرخين له والكتابين في فلسفة العلم أيضاً، والبؤرة تتضح في كتابة تاريخ العلوم الاستقرائية كانت مسحة تاريخية حول العلم منذ القدم وحتى عصره، معتمدا معرفة العلم من خلال تاريخه، ولعل كتاباته ومقالاته ودراساته في مختلف الفروع هي أكبر دليل على ذلك بل وله أهمية كبرى. إذا إلى أي مدى تظهر أهميته في فلسفة العلم؟

5- عندما قرأ جون ستيورت ميل كتاب فلسفة العلوم الاستقرائية لوليم هيول قرر أن يوسع بحثه عن منطق الاستتباط ليتضمن كتابا عن المنطق الاستقرائي. ومن ثم فقد جمع ميل كل ما

يمكن أن يعطيه إحساسه تجاه ويل الذي كان يمثل في تلك المرحلة واحدا من أكثر مؤرخي العلم . ولقد كان كتاب " مل " المسمى system logic بمثابة البذرة المنطقية لفلسفة هيوول العلمية التي هبت عليها بعض الرياح فأزاحت بعيدا تلك القشرة عن كل ما غير منطقي أو علي الأقل كان هذا يعد اعتقاد الذين لم يفهموا الأجزاء التي كان يتحدث فيها هيوول والتي ظن البعض أن ميل قد رشحها له . ومن ثم يمكن القول بأن كتاب system logic يعد بداية الخلاف ثم تشعب هذا الخلاف ليشمل نقاط أخرى ولعل من أهمها المنهج المتبع في العلم، وقد وصف المنهج الفرضي الاستنباطي عند ميل بأنه يكاد يقترب في محتواه مما عرض في فلسفة العلوم المعاصرة ولما كان ميل يعد رجلا من رجال المنطق فقد نظر للغة علي أنها وعاء لخبرات الإنسان السابقة وبأنه علي الرغم من أن لغة العلم خصبة إلا أنها يجب فصلها عندما ننظر للعمليات داخل العلم كعلم وكإجراءات علمية . وقد كانت وجهة نظر هيوول مختلفة فقد نظر للغة بأنها أحد عوامل التابع والمقدمة التي يجري الاستفادة منها وأخذها في الاعتبار عند عرض مفاهيم جديدة أو لشروح قديمة علي أنها خطوة لحل جزء من تلك المعضلة، ولقد كانت الاختلافات السابقة بين هيوول وميل تقودنا إلي خلاف حول المنهج والنسق ولنظام الذي يجب أن يتبعه أي إجراء علمي وشكل بذلك سلسلة من القضايا . وهيوول اعترف أيضا أن تاريخ العلم يحتوي علي العديد من الأمثلة للفروض الكاذبة التي قامت ببعض التنبؤات الصحيحة (مثل نظرية الفوجستون)، ولذلك فهو لم يعتقد أن القدرة التنبؤية المحددة تكفي لاقتناعنا بصدق الفرض . وحين يجتاز الفرض

أكثر من اختبار صارم، فإن ربط الاستقرارات طبقا لهيول تمثل البيئة التي تقودنا إلي إثبات أن النظرية صادقة .

الاختبار الثالث : ربط الاستقرارات تمثل البيئة الأكيدة علي مصداقية الفرض في أكثر من طرفين هما : حين يمكننا الفرض من تفسير وتحديد الحالات التي من نفس النوع تكون مختلفة عن تلك التي تأملناها في تشكيل فروضنا، وحين نفسر اثنين وكثير من الأنواع المختلفة للظاهرة، كدوران الكواكب وسقوط الأحجار ومبادرة الاعتدالين . فإن هذا يؤدي بنا إلي نفس السبب، ومثل هذه الصدفة، تضي واقعية للسبب . وفي الحقيقة لدينا في مثل هذه الحالة ."

6- إن هيول شأنه شأن كارل بوبر أراد أن ينكر الدور الاستقرائي للملاحظة وذلك من أجل حفظ كيان العقل والقوي الخلاقة ويرفض أن يحيل أن يحيل الإنسان إلي آلة صماء، تقصر عملها علي تسجيل انطباعات التجريب، وتعمم نتائجها لتصل إلي القانون . وكأن الإنسان حسا فحسب وليس حسا وعقلا وقدرات علي الابتكار العلمي والخلق الفني ... وسائر مكونات العالم الثالث . هذا درس عميق للتجريبيين و وقد نصت كتابات بوبر علي أنه يناصبهم العداة . أولئك الذين بالاحتفاظ بالمدركات الحسية خالصة صافية بقدر الإمكان بلا اضافة أو نقصان، فتكون بهذا المعرفة اليقينية حتي جاء كانط ليقول لهم : " المعطيات الحسية لا تشكل إلا المادة الخام ."

7- أن مفهوم الاستقراء في تصور مل يختلف عن تصور هيول له، فهويول يصر علي أن في كل عملية استقرائية تحمل بداخلها ما لا تقدمه الظاهرة، وإنما ما يقدمه العقل أيضا، وما يقدمه العقل

لا تستطيع الظاهرة تقديمه ، ألا وهو تقديم الفكرة العامة والمفهوم الجديد في كل مرحلة والمفهوم الجديد ضروري للوقائع ، فهو الذي يجعلها تقفز سويًا لترتفع إلى مستوى القضايا العامة والتي يتكون منها العلم.

هناك بعد حدسي يميز فكرة هيوول ، وهو أن الاستقراء الحقيقي هو استدلال للتفسير الجيد ، وهذا التفسير يجب أن يقدم الأسباب النظرية التي توحد وتوضح وقائع الخبرة. " كل البشر فانون" لا تفسر لماذا جون وبيتر وبول فانون بالمعنى المعقول ، بينما " كل الكواكب تدور حول الشمس " تفسر تكون الحركة الرجعية للكواكب البعيدة جدا عن أنظارنا موجودة ، ويمكن تحديد السبب استقرائياً ، ولذلك فإن الاستقراء عند هيوول ينزع نحو أفضل تفسير ممكن ونحو أكثر واقعية ، إلا أنه يتطلب شرحاً أكثر لعناصره الاستقرائية .

هوامش الدراسة

- (1) د. يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين (الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية)، عالم المعرفة، عدد 264، ديسمبر / كانون الأول، 2000 م، الكويت، ص 163 - 164 .
- (2) Laudan,L.:William Whewell on The Consilience of Inductions, Monist55:368-369.
- (3) د. يمنى طريف الخولي : نفس المرجع، ص 138.
- (4) H.W. Becher : William Whewell and Cambridge Mathematics, Historical Studies in the Physical Sciences,11,1981,P.3-4.
- (5) د. عبد الله العمر : ظاهرة العلم الحديث - دراسة تحليلية وتاريخية، عالم المعرفة، عدد 9، ذو الحجة - ذو الحجة - 1203 هـ / سبتمبر (أيلول) 1983م، ص 13 - 14.
- (6) د. سهام النويهي : نظرية المنهج العلمي، دار البيان، القاهرة، 1995، ص 9 - 10 .
- (7) د. يمنى الخولي : المرجع السابق، ص 155 .
- (8) د. سهام النويهي : نفس المرجع، ص 10 - 11 .
- (9) د. فؤاد زكريا : آفاق الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، 1991، ص 82 .
- (10) د. ماهر عبد القادر : فلسفة العلوم الطبيعية " المنطق الاستقرائي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979، ص 105 .

(11) J.S.Mill : A System of Logic, rationinative and inductive, Logmans, 959, P . 196 .

(12) ibid, P . 284 .

(13) د . يماني الخولي : نفس المرجع ، 145 .

(14) نفس المرجع ، ص 145 .

(15) د. سهام النويهي : المرجع السابق ، ص 14 .

(16) Heathcote, A . W . : William Whewell s Philosophy of Science, British Journal Philosophy of Science, 1953, 302-312 - 1954 .

(17) د . فؤاد زكريا : آفاق الفلسفة ، ص 81 – 82 .

(18) نفس المرجع ، ص 96 .

(19) د . سهام النويهي : نظرية المنهج العلمي ، ص 15 .

(20) نفس المرجع ، ص 16 .

(21) نفس المرجع ، ص 17 .

(22) William Whewell : Novum Organon Renovatum (Selecte Passages From Books II and III) in William Whewell Theory of Scientific Method, Edited With on Introduction by Robert E. Butts, backett Publishing Company, Indianapolis / Cambridge, P . 142 .

(23) د . ماهر عبد القادر : مناهج ومشكلات العلوم (الاستقراء والعلوم الطبيعية) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1979 ، ص 153 – 154 .

(24) William Whewell : Whewell s Reply To Mill ,In William Whewell Theory of Scientific Method,

Edited With on Introduction by Rebert E . Butts,
backett Publishing company, Indianapolis /
Cambridge, P . 301 .

(25) Ibid ، P . 303 .

(26) أنظر الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية فؤاد
كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف
عليها وأضاف إليها شخصيات إسلامية د . زكي نجيب محمود،
مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص 410 .

(27) William Whewell : Novum Organon Rwnovatum
P.138 .

(28) Ibid ، P . 176 .

(29) William Whewell Whewell s Reply To Mill ، P . 305 .

(30) د . سهام النويهي : نفس المرجع، ص 17 – 18 .

(31) د . يماني طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين،
ص 140 .

(32) نفس المرجع، ص 140 – 141 .

(33) نفس المرجع، ص 140 – 141 .

(34) د. ماهر عبد القادر : مناهج ومشكلات العلوم، ص 157 .

(35) نفس المرجع، ص 159 .

(36) د. محمد عابد الجابري : مدخل إلى فلسفة العلوم – العقلانية
المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية،
بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1994، ص 283 - 284 .

- (37) William Whewell : Nouvum Organon Renovatum, P.140.
- (38) Blanche, Robert: William Whewell, in: The Encyclopedia of Philosophy ,Vol.8, ed. By Paul Edwards, Macmillan Publishing . New York ،1972, P.288-289 .
- (39) Blanche, Robert : Ibid, P.289.
- (40) Ibid, P.289.
- (41) William Whewell : Novum Organon Rwnovatum P.169.
- (42) د. محمد عابد الجابري : مدخل إلى فلسفة العلوم – العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، ص 284.
- (43) د. ماهر عبد القادر : مناهج ومشكلات العلوم، ص 112 .
- (44) المرجع السابق، ص 113 - 114 .
- (45) المرجع السابق، ص 114 .
- (46) المرجع السابق، ص 117 .
- (47) William whewell : William whewell's Reply to Mill, P.320.
- (48) Ibid, P.321 .
- (49) Ibid, P.322 .
- (50) Blake, ralph M .,J. Ducasse and Edward H. Madden: william Whewell'sPhilosophy of Scientific Discovery, in Theories of Scientific method inRenaissance though The Nineteenth century, university of washington press ،U.S.a, 1960, P.200-201.
- (51) OP.Cit, P. 151 .

(52) OP.Cit, P. 151 .

(53) OP.Cit, P. 152 .

(54) OP.Cit, P. 153.

(55)OP .Cit, P . 152.

(56) OP . Cit, P. 153 .

(57) د.ماهر عبد القادر : مناهج ومشكلات العلوم، ص166 - 167

(58) OP . Cit, P. 153 .

(59) OP.Cit, P. 149.

(60) OP.Cit, P. 134.

(61) أنظر : بدوي عبد الفتاح : فلسفة العلوم، دار قباء، القاهرة،
2000، ص 124.

(62) William Whewell : Ibid, P 159.

(63) Ibid, P 134.

(64) Ibid, P 134.

(65) Ibid, P 134.

(66) Ibid, P .223 .

(67) Ibid, P .223 .

(68) Ibid, P .223 .

(69) op,cit, P .223 .

(70) op,cit, P .223 .

(71) Ibid, P .223 – 224 .

(72) Ibid, P .237.

(73) Ibid, P . 235.

(74) د . ماهر عبد القادر : مناهج ومشكلات العلوم، ص 17 -

- (75) William Whewell : *Novum Organon Removatum* ,
P.140 .
- (76) *Ibid*, P . 260 .
- (77) William Whewell : *Novum Organon Removatum*, P.
140 .
- (78) *Ibid*, P.201-202.
- (79) *Ibid* ,P.269.
- (80) *Ibid*, P.270.
- (81) *Ibid*, P . 266 .
- (82) Mill : *A system of Logic*, P.303.
- (83) *Ibid*, P.305.
- (84) د. عبد الفتاح الديدي : *النفسانية المنطقية عند جومن ستيوارت*
مل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 126.
- (85) نفس المرجع، ص 126.
- (86) نفس المرجع، ص 127.
- (87) نفس المرجع، ص 127.
- (88) E.W.Strong : *William Whewell and Jhon Sturart Mill*
their Controversy over Scientific Knowledge، *Journal*
of History of Ideas, 16, 209-21.
- (89) *Ibid*, P. 211.
- (90) William Whewell : *Novum Organon Removatum*,
P.201.
- (91) *Ibid* , P.163.
- (92) Mill : *A system of Logic*, P212.
- (93) William Whewell : *Novum Organon Removatum*,
P.201 .

قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولاً : المراجع العربية

- 1- بدوي عبد الفتاح : فلسفة العلوم، دار قباء، القاهرة، 2000، ص 124.
- 2- سهام النويهي : نظرية المنهج العلمي، دار البيان، القاهرة، 1995.
- 3- عبد الفتاح الديدي : النفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.
- 4- عبد الله العمر : ظاهرة العلم الحديث – دراسة تحليلية وتاريخية، 6عالم المعرفة عدد 9 ذو الحجة – ذو الحجة – 1203هـ / سبتمبر (ايلول) 1983م.
- 5- فؤاد زكريا : آفاق الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، 1991 .
- 6- ماهر عبد القادر : مناهج ومشكلات العلوم (الاستقراء والعلوم الطبيعية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979 م .
- 7- ماهر عبد القادر : فلسفة العلوم الطبيعية " المنطق الاستقرائي "، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979م.
- 8- محمد عابد الجابري : مدخل إلى فلسفة العلوم – العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1994م.
- 9- محمود فهمي زيدان : الاستقراء والمنهج العلمي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م .

10- يمنى طريف الخولي : فلسفة العلم في القرن العشرين (الأصول – الحصاد – الأفاق المستقبلية)، عالم المعرفة، الكويت، عدد 264، ديسمبر / كانون الأول، 2000 م.

ثانياً : المراجع الأجنبية

- 1- Blake, ralph M .,J. Ducasse and Edward H. Madden: William Whewell`s Philosophy of Scientific Discovery, in Theories of Scientific method inRenaissance though The Nineteenth century, university of washington press, U.S.a, 1960,P.200-201.
- 2- J.S.Mill : A System of Logic, rationinative and inductive, Logmans, 959, P. 196 .
- 3- William Whewell : Whewell s Reply To Mill ,In William Whewell Theory of Scientific Method, Edited With on Introduction by Rebort E . Butts, backett Publishing company, Indianapolis / Cambridge, P . 301 .
- 4- ----- : Novum Organon Renovatum (Selecte Passages From Books II and III) in William Whewell Theory of Scientific Method, Edited With on Introduction by Robert E. Butts, backett Publishing Company, Indianapolis / Cambridge, P.142 .

ثالثاً : دوريات عربية

الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها وأضاف

إليها شخصيات إسلامية د . زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو
المصرية، بدون تاريخ .

رابعاً : دوريات أجنبية

- 1- Blanche, Robert: William Whewell, in : The Encyclopedia of Philosophy ,Vol.8, ed . By Paul Edwards, Macmillan Publishing . New York, 1972, P.288-289 .
- 2- E.W.Strong : William Whewell and Jhon Sturart Mill their Controversy over Scientific Knowledge, Journal of History of Ideas ، 16, 209-21.
- 3- Heathcote, A . W . : William Whewell s Philosophy of Science ،British Journal Philosophy of Science ،1953, 302-312 – 1954
- 4- Laudan, L.:William Whewell on The Consilience of Inductions,Monist 55: 368-369.
H.W. Becher : William Whewell and Cambridge Mathematics, Historical Studies in the Physical Sciences, 11, 1981, P.3-4.